هَل العَالَمُ كُلُّه مخلوقٌ ومرزوقٌ

من بركة النبيّ ﷺ أو من أسباب أُخرى

؟

للشيخ محمَّد الأمين بن محمَّد المختار الشنقيطي رحمه الله

(ت ١٣٩٣هـ)

دراسة وتحقيق

الدكتور / عبدالعزيز بن صالح بن إبراهيم الطويان

أستاذ مساعد في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية

مقدمة

الحمـد لله رب العـالمين ، والصـلاة والسـلام عـلىٰ أشرف الأنبيـاء وإمام المرسلين ؛ نبيّنا محمَّد ، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين ، وبعـــد :

فإنَّ الله ﷻ بعث رسوله محمّدًا ﷺ ليكون للعالمين نـذيرًا ، وداعيًـا إلىٰ الله بإذنه وسراجًـا منـيرًا . بعثـه الله ﷻ بـين يـدي السـاعة ؛ حـين استشرىٰ الشرك ، واتخذ الناس من دون الله آلهـة يسـتغيثون بهـم عنـد الشدائد ، ويستعينون بهم في تذليل العقبات والمصاعب .

فـدعاهم ﷺ إلىٰ التوحيـد الخـالص ، المتمثّـل في إفـراد الله ﷻ بالعبادة ، ونبذ ما كانوا فيه من الشرك والوثنيَّة .

وحرص رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم علىٰ حماية جناب التوحيـد من كلّ شائبة.

ومن مظاهر حرصه علىٰ ذلك: نهي أمته عن الغلوّ فيه بأيّ نوع مـن أنواع الغلوّ. يقول ﷺ : « **لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَـرْيَمَ ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** »[1] . فهو عبد الله ورسـول الله صلىٰ الله عليه وسلّم .

(١) صحيح البخاري ، أحاديث الأنبياء ، ح ٣٤٤٥ .

ومن لوازم محبّتنا الصادقة له ﷺ : ألا نعتقد خلاف ما أخبرنا ، وأن نؤمن بما جاء به ﷺ من العقائد ؛ إذ ليس لأحد أن يأتي بمثل ما جاء به ﷺ من الشرع ، فضلاً عن مجيئه بأحسن منه .

ولـمّا كان قد وقع بيدي رسالة أجاب فيها فضيلة الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله عن سؤال وُجِّه إليه، يسأل فيه السائل عن العالَمَ: هل هو مخلوقٌ ومرزوق من بركة النبيّ ﷺ، ورأيتُ في مثل هذا الاعتقاد ما يُخالف نهيه ﷺ عن الإطراء، وعن المغالاة فيه ومجاوزة حدّه ﷺ؛ من كونه بشرًا من ذرية آدم عليه السلام ، قمتُ بتحقيق هذه الرسالة رغبة في إظهار الحقّ، وثقةً في علمِ صاحب الجواب؛ فضيلة الشيخ العلامة محمّد الأمين الشنقيطي رحمه الله-الذي صرف وقته ، وبذل جهده في خدمة هذا الدين، والنصح لأمة سيّد الأنبياء والمرسلين ، وتوجيهها إلى ما فيه الخير لها في العاجلة والآجلة - .

وقد قمت بتحقيق هذه الرسالة ، وقدّمت بين يدي التحقيق دراسة ، عرّفت فيها بالموضوع الذي تناوله الشيخ -رحمه الله- في هذه الرسالة ، وأتبعتها بترجمة موجزة لصاحب هذه الرسالة ، ثمّ وصف النسخة الخطية التي رجعت إليها .

القِسْمُ الأَوَّل

الدِّرَاسَة

موضوع الرسالة :

موضوع هذه الرسالة التي كتبها العلامة الشنقيطي –رحمه الله– : في الردّ على دعوى الرافضة ، والصوفية في النبيّ –صلى الله عليه وسلّم– أنَّه خُلق من نور قبل خلق المخلوقات ، وأنَّ المخلوقات خُلقت من أجله ، وببركته –عليه الصلاة والسلام– .

دراسة هذا الموضوع –التبرُّك– :

لا شكّ أنَّ الخيرَ كلَّه بيد الله تبارك وتعالى ، لا يقدر على ذلك أحدٌ سواه ؛ فهو على كلّ شيء قدير .

وأنواع الخير كلّها منه ﷻ ـ ومنها النّعم التي لا تُعدّ ولا تُحصى– ، والخلق جميعًا مفتقرون إليه ﷻ، وإلى ما في يديه جل وعلا .

وإذا كانت الخيراتُ والنّعم في الدنيا والآخرة منه ﷻ، ومن فضله على عباده ، فإنَّ دوام هذه الخيرات والنّعم منه أيضًا، وكذا كثرتها وزيادتها ، كلُّ ذلك منه ﷻ.

وكثرة الخيرات، وزيادة النّعم هو البركة ؛ فأصل البركة: الزيادة والنماء[1] . وهذه تُضاف إلى الله وحده ، وتُطلب من الله وحده .

---

(١) انظر تهذيب اللغة للأزهري ١٠/ ٢٣١ .

وهذا مِمَّا علَّمه رسولنا ﷺ لأمّته ؛ إذ حمىٰ جناب التوحيد ، وأسند البركة إلىٰ مولاه ﷻ ؛ فقد أخرج البخاري في صحيحه عن جابر بن عبدِ الله رضيَ الله عنهما قال: «قد رأيتُني مع النبي ﷺ وقد حَضرَتِ العصرُ وليس معَنا ماءٌ غير فَضلة. فجعلَ في إناء. فأتي النبيّ ﷺ به فأدخل يَدَهُ فيه وفرَّجَ أصابعهُ ، ثم قال: "حيَّ علىٰ أهل الوضوءِ ، البركة من الله" . فلقد رأيتُ الماءَ يتفجر من بين أصابعه. فتوضأ الناسُ وشربوا. فجعلتُ لا آلو ما جعلتُ في بطني منه فعَلِمتُ أنه بركة. قلت لجابر: كم كنتم يومئذ؟ قال: ألفٌ وأربعمائة»[1] .

وهذه البركة يضعها مولانا ﷻ فيمن شاء من خلقه ، وفيما شاء من بريّته .

وقد أخبر سبحانه وتعالىٰ أنَّه أعطىٰ بركةً لأصناف من خلقه ، منهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. يقول ﷻ في إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: ﴿ ❐◆✉◆◷➋◆✍☾◆☙ ⬉◆▣■⓿⬂❍☋ ❐◆⬉◆✍■❼✁ ⊘☋☊⇔⬩⍓◷✉◆ 🗐 ﴾ [الصافات: ١١٣]، ويقول في إبراهيم عليه السلام وأهل بيته : ﴿ ❻◆❑⬃✍◆✺✒✁☙✎★ ❐◆✉◆➋◆✍⌧◷☞⬅❍⬅◷ ⬊◆▣■⓿⬂▤⬈✉⬀🕮❐♎⬃✍• ✁☙✌⬂🖮◆❹⬂✺☋ 🗐 ⊘☋⬂⬅❍✼☼ ◷⬅❍✼☼ ❑⌧⬃☋⑩⑨⊘ ✌⊙♑⬂⓿⑨⊘ ⬀⬈⊗⬂⬅ ﴾ [هود :

---

[1] صحيح البخاري ، كتاب الأشربة ، باب : شرب البركة والماء المبارك ، ح ٥٦٣٩ .

٧٣] ، وقـــــال في نـــــوح عليه السلام: ﴿ [illegible] ﴾ [هود : ٤٨] ، وقـــال في عيســـــى : ﴿ [illegible] ﴾ [مريم : ٣٠-٣١] .

وهذه بركة خاصَّة لازمة لذاتٍ بعينها ، وتكون متعدية ، يحصل التبرُّك بأعيانها -في ذاتها وآثارها الحسيَّة المنفصلة منها - ، لما فيها من البركة اللازمة الدائمة بالذات . وأثر هذه البركة هو : ((ما اتّصل بتلك الذات مباركًا . وهذا النوع للأنبياء والمرسلين ، لا يشركهم فيه غيرُهم ، حتى أكابر أصحاب النبيّ محمَّد ﷺ ؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ لا يشركونهم في هذه البركة))[1] .

ولقد تبرَّك أصحاب رسول الله ﷺ بذاته ، وبآثاره الحسيَّة المنفصلة منه في حياته ﷺ، وأقرَّهم على ذلك، ولم يُنكر عليهم . وتبرّكوا بها بعد وفاته، مِمَّا يرشد إلى مشروعيَّة هذا التبرُّك ؛ فقد تبرَّكت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بيده الشريفة ، فكانت تقرأ عليه بالمعوّذات

(١) هذه مفاهيمنا ، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص ٢٠٤ .

حين اشتدّ وجعه، وتمسح عليه بيد نفسه ﷺ رجاء بركتها –كما قالت[١]– .

وكان الصحابة –رضي الله تعالىٰ عنهم– يمسحون بيدي رسول الله –صلىٰ الله عليه وسلَّم– ، ويضعونها علىٰ وجوههم رجاء بركتها[٢] .

وكانوا –رضي الله عنهم– يتبرَّكون بشعر رسول الله ﷺ، وقد أقرَّهم علىٰ ذلك ، بل إنَّه وزّعه عليهم[٣] .

وكانوا يتبرَّكون بعرقه ﷺ[٤]، وبريقه[٥]، وبنخامته؛ فيدلكون بها وجوههم وجلودهم[١] .

(١) صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب الرقىٰ بالقرآن والمعوذات ، وباب النفث في الرقية ، وباب المرأة ترقي الرجل ، ح ٥٠١٦ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي خ ، ح ٣٥٥٣ ،، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب قرب النبيّ ﷺ من الناس وتبركهم به ، ح ٦١٨٧ .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب : بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، ح ٣٢١٣ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب طيب عرق النبيّ ﷺ والتبرك به ، ح ٦٢٠٢ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب العقيقة ، باب تسمية المولود غداة يولد لمن لم يعق عنه، وتحنيكه ، ح ٥٤٦٧، ٥٤٦٩ ،، وصحيح مسلم ، كتاب الآداب ، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته ، ح ٥٧٤٠-٥٧٤١ .

وكتب السنة مليئة بتبرُّك أولئك الأخيار برسولهم -صلى الله عليه وسلم- ، في حياته ، وبعد وفاته[٢] .

((وهذا النوع من تعدّي البركة قد انقطع بعد موت النبيّ ﷺ ، إلا ما كان من أجزاء ذاته باقيًا بيقين بعد موته عند أحد . وقد ذهب ذلك المتيقَّن مع انقراض قرن الصحابة ﭫ))[٣] .

فتبيَّن بهذا أنَّ رسولنا ﷺ مباركٌ في ذاته وآثاره ؛ في حياته ، وبعد مماته إذا ثبت يقينًا بقاء شيء من أجزاء ذاته ﷺ بعد موته عند أحد .

لكنّ السؤال الذي وُجِّه إلى فضيلة الشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي ﵀ : هل العالم كلّه مخلوقٌ ومرزوق من بركة النبيّ ﷺ ؟ :

يحتمل أمرين :

إمَّا أنَّ السائل يسأل : هل سببُ وجود العالم هو رسول الله ﷺ ؟ أو : هل أصل المخلوقات وإيجادها من نور الرسول ﷺ ؟

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب ، ح ٣٧٣١ .

(٢) انظر : التبرُّك : أحكامه وأنواعه للدكتور ناصر الجديع ص ٢٤٣-٢٦٠ .

(٣) هذه مفاهيمنا ، لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص ٢٠٤ .

والثاني هو الأقرب؛ لأنَّ ما ختم به فضيلة العلامة الشنقيطي جوابه يُفهم منه ذلك ؛ حيث يقول : ((وعلىٰ كلّ حال : فمن المعلوم الواضح أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يقول : إنَّ فرعون ، وهامان ، وقارون ، وعاقر ناقة صالح ، وأبا جهل ، وأمية ابن خلف، ونحوهم من أئمة الكفر ، خُلِقوا من بركة سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ ، وكذلك سائر المشركين والكفَّار ، لأنَّه ﷺ خيرٌ كلُّه ، ولا ينشأ عنه إلا خير محض ، كما لا يخفىٰ)) [1] .

والسؤال –باحتماليه : هل العالم خُلق لأجله ﷺ أم من نوره – لم أجد من تطرَّق له قبل الشيخ الشنقيطي رحمه الله –فيما أعلم، ومن خلال قراءتي واطلاعي–!.

وما أجاب به فضيلة العلامة الشيخ الشنقيطي رحمه الله فيه التأكيد علىٰ أنَّ الحكمة إلهيَّة ربَّانيَّة ، لا نبويَّة . فالله جلّ وعلا كما قال الشيخ الشنقيطي: ((غنيّ عن الخلائق كلِّهم ، وقد اقتضت حكمته أن يخلق السموات والأرض ونحوهما ليُقيم ذلك بُرهاناً قاطعاً علىٰ كمال قدرته ، وعظمته ، وأنَّه المعبودُ وحده ، وخَلَقَ العقلاءَ كلَّهم لتلك الحكمة ، ولحكم أخرىٰ عظيمة ، وهي : أنَّه يأمرهم ، وينهاهم علىٰ ألسنة رسله

---

(١) انظر خاتمة هذا البحث ص ٣٨ .

عليهم الصلاة والسلام ، ثمّ يُوفِّق فريقـاً منهـم ؛ وهم أهل الجنَّـة ، ولم يفعل ذلك لغيرهم ؛ وهم أهل النار .... –إلى أن قـال :– وبـذلك تعلم أنّ من حِكَم رزقه تعالى لخلقه : إقامـة البُرهـان لهـم بـذلك عـلى عظمته ، وكمال قدرته ، وأنَّه المعبود وحده جلّ وعلا)) .

فحكمة خلق الخلق ورَزقهم إلهيّة ربَّانيّة ، لا نبويّة .

أمَّا بركة النبيّ ﷺ : فسواء أراد بها السائل خلق العالم من نوره ، أو لأجلـه ﷺ : فهـذه المسـألة مِمَّـا يدنـدن حولهـا الرافضـة والصـوفيَّة ، مؤكدين قدم ذات رسول الله ﷺ وتقدّم خلقه .

فالصوفيَّة يقولون إنَّ رسولنا ﷺ مخلـوقٌ مـن نـور، ولا يكتفـون بهذا، بل يزعمون أنَّ العالَم جميعه خُلق من نوره ﷺ ؛

يقول عبدالكريم الجيلي : ((لما خلق الله سبحانه وتعالى العالَم جميعَـه من نور محمد ﷺ، كان المحلّ المخلوق منه إسرافيل قلبَ محمّد ﷺ)) [1].

وهذا يدلّ على اعتقاده أنَّ رسول الله ﷺ أصـلٌ لجميـع مـا في هـذا العالم من مخلوقات .

---

(١) الإنسان الكامل للجيلي ٢/ ٣٠ .

ويقول أحمد الرفاعي في ورده الخاص بالصلاة على النبيّ ﷺ : ((اللهم صل وسلّم على نورك الأسبق وصراطك المحقق ؛ من أبرزته رحمة شاملة لوجودك وأكرمته بشهودك...فهو سرّك القديم الساري وماء جوهر الجوهرية الجاري الذي أحييت به الموجودات من معدن وحيوان ونبات ...)) [١] .

وقال أحمد الدرديري : ((اللهم صلّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد شجرة الأصل النورانيَّة ، ولمعة القبضة الرحمانيَّة ..)) [٢] .

وبنحوه قال عبدالعزيز الدباغ عنه ﷺ أنَّه : ((أول ما خلق الله تعالى ، وسقى المخلوقات والأنبياء والأولياء والمؤمنين من نوره عليه الصلاة والسلام كلّ على قدر طاقته))[٣] .

ويقول أحمد يار خان : ((إنّ رسول الله نورٌ من نور الله ، وكلّ الخلائق من نوره ..)) [٤] .

ويقول أبو المواهب الشاذليّ عن أسبقيّة وجوده ، وأنها سبب في وجود الموجودات : ((إذ لولا أسبقيَّة وجوده ما وجد موجود ، ولولا

(١) مجموعة الأوراد والأدعية والاستغاثات للبكري ص ١٦٤ .
(٢) مجموعة الأوراد والأدعية والاستغاثات للبكري ص ٢١ .
(٣) الإبريز لعبدالعزيز الدباغ ص ٢٥٣ .
(٤) مواعظ نعيمية لأحمد يار خان ص ١٤ .

نوره في ضمائر الكون إلىٰ أن برز لتهدمت دعائم الوجود؛ فهو الذي وجد أولاً وتبعه الوجود وصار مرتبطًا به)) [١] .

وهذا مثل قول البوصيري :

فإنّ من جودك الدنيا وضرّتها ومن علومك علم اللوح والقلم[٢]

ومثل قول ابن نباته المصري :

لولاه ما كان أرض ولا أفق ولا زمان ولا خلق ولا جيل[٣]

إلىٰ آخر ما أوردوه في كتبهم من أقوال تنضح بمعتقدهم في خلق رسول الله ﷺ من نور ، وأنّه أول المخلوقات ، وأنَّ الكون خُلق بعده وبسببه ، وأنه لا يستغني عنه بحال من الأحوال .

وغاية ما يستندون إليه في هذه المزاعم مجموعة نصوص لا تستقر في ميزان النقد العلميّ ، منها :

أولاً- أدلتهم علىٰ أنّ العالم وجد لأجل رسول الله -صلىٰ الله عليه وسلّم- ، وهو سبب في ذلك :

(١) حجة الله علىٰ العالمين للنبهاني ص ٤٨ .
(٢) البردة للبوصيري ص ٣٥ .
(٣) نقلا عن التصوف بين الحق والخلق لشقفة ص ٧٧ .

١ - حديث أخرجه الحاكم في المستدرك بسنده عن عبدالله بن مسلم الفهري عن إسماعيل بن مسلمة عن عبدالرحمن بن زيد عن أبيه، عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : لما اقترف آدم الخطيئة قال : يا رب بحق محمد لما غفرت لي ؟ قال : وكيف عرفت محمدًا ؟ قال : لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيَّ من روحك ، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبًا "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك . قال : صدقت يا آدم ، ولولا محمد ما خلقتك[1] .

وهذا الحديث فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ، روى عن أبيه أحاديث موضوعة، كما قال ذلك –الحاكم نفسه الذي خرَّج هذا الحديث– ؛ إذ قال في كتابه "المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم" : ((عبدالرحمن بن زيد ابن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة أنَّ الحمل فيها عليه))[2].

(١) المستدرك للحاكم ٢/ ٦١٥ .

(٢) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٨٥ .

وقد نَسَفَ شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هذا الحديث –سندًا ومتنًا– في كلام طويل ، وبيَّن أنه من جنس الإسرائيليات ، وقال : ((ومثل هذا لا يجوز أن تُبنى عليه الشريعة، ولا أن يُحتج به في الدين باتفاق المسلمين ..))[1] .

وقال عنه الإمامان الحافظان : الذهبي ، وابن حجر : إنّه حديث باطل موضوع[2] .

٢- حديث : **"لولاك لما خلقت الأفلاك"** .

هذا حديث موضوعٌ ، حكم عليه بالوضع : السيوطي في اللآلئ المصنوعة[3]، والصغاني في الموضوعات[4] ، والعجلوني في كشف الخفاء[5]، والشوكاني في الفوائد المجموعة[6]، وغيرهم. وقال عنه الألباني: ((إنه حديث موضوع))[7].

---

(١) المصدر نفسه .
(٢)انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٥٠٤ ، ولسان الميزان لابن حجر ٣/ ٣٥٩-٣٦٠ .
(٣) ١/ ٢٧٢ .
(٤) ص ٥٢ .
(٥) ٢/ ٢٣٢ .
(٦) ص ٣٢٦ .
(٧) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١/ ٢٨٢ .

ثانيًا- أدلتهم على تقدَّم خلق رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على سائر المخلوقات :

٣- حديث : ((كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين))، و((كنت نبيًّا ولا آدم ولا ماء ولا طين)) .

وهو حديث موضوع أيضًا [١] .

قال السخاوي : ((لم نقف عليه بهذا اللفظ)) [٢] .

وقال السيوطي : ((لا أصل له بهذا اللفظ)) [٣] .

وقال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : ((لا أصل له لا من نقل ولا من عقل؛ فإنّ أحدًا من المحدثين لم يذكره ، ومعناه باطل ؛ فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط؛ فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد.... ثمّ هؤلاء الضلال يتوهمون أنّ النبيّ ﷺ كان موجودًا وأن ذاته خلقت قبل الذوات...))[٤].

(١) انظر : سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألباني ١/ ٣١٦ .
(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٢٧
(٣) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي ص ١٤٧-١٤٨ .
(٤) الردّ على البكري لابن تيمية ص ٩ .

وقول شيخ الإسلام : ((.. وإنّما كان بين الروح والجسد ..)) : فيه إشارة إلىٰ حديث أبي هريرة ، وحديث ميسرة الفَجْر –رضي الله عنهما– ، وفيه أنّ كلَّ واحدٍ منهما سأل رسولَ الله –صلىٰ الله عليه وسلم– : متىٰ كنتَ نبيّاً ؟ أو متىٰ وجَبَتْ لك النبوّة ؟ فقال –صلىٰ الله عليه وسلم– : « وَآدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ »[1] . وليس في هذا الحديث ما يشهد لهؤلاء، وغاية ما فيه الإشارة إلىٰ مرتبتي القدر : العلم السابق ، والكتابة السابقة .

٤- حديث: "كنت أول النبيِّين في الخلق، وآخرهم في البعث"[2].

وهو حديث موضوع ؛ ذكره ملا علي القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة[3] . وقال محقق الفوائد لتمام الرازي : ((إسناده

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، ح ٣٩٦٨ ، وقال : "هَـذَا حَـدِيثٌ حَسَـنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَفِي الْبَابِ عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ" . وحديث ميسرة الفجر أخرجه الإمام أحمد في المسند ، ح ٢١١٣٨ .

(٢) أخرجه تمام الرازي في فوائده رقم (١٠٠٠) ، وأبو نعيم في الدلائل رقم (٣) ، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ٣/ ٩١٩ ، ١٢٠٩ .

(٣) ص ٢٧٢-٢٧٣ .

ضعيف ، فيه علتان : ضعف سعيد بن بشير ، والانقطاع بين الحسن وأبي هريرة))[1] .

وقد خالف متنُ هذا الحديث القرآنَ الكريم في غير آية ، ((بل خالف الكتب السماوية التي تقول كلها بأن أول البشر آدم ﷺ ، وخالف السنة الصحيحة ... ويُخالف المحسوس المشاهد ؛ فالنبيّ ﷺ قد ولد من امرأة ، وتربى صغيرًا ثم كبر ، ولم يُنقل إلينا أنَّ رجلاً ولد قبل آدم ، وبقي محفوظًا في السماء ، حتى إذا حان موعد ولادته تشكل نطفة ثم علقة ثم مضغة مخلقة وغير مخلقة ، ثمّ قرّ في رحم أمه تسعة أشهر ...))[2] .

ثالثًا- أدلتهم على أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مخلوقٌ من نور :

اختلق الرافضة الأحاديث التي تدلل على أن آل بيت النبيّ ، ومعهم النبيّ ﷺ قد خلقوا من نور الله ﷻ .

فمن ذلك : ما أخرجه ابن المغازلي _الرافضي_ في مناقب علي ، وأخطب خوارزم -الرافضي- في المناقب ، وغيرهما ، عن سلمان

(١) فوائد تمام الرازي ، رقم (١٠٠٠) .
(٢) النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلوّ الغالين لعداب محمود الحمش ص ٢٦ .

الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ : ((**كنت أنا وعليّ نورًا بين يدي الله مطبقًا يسبح الله ذلك النورُ ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام . فلما خلق الله آدم ركّب ذلك النور في صلبه ، فلم يزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ؛ فجزء أنا وجزء علي بن أبي طالب**)) [(١)] .

وهذا حديث من وضع الرافضة.

وقد أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق[(٢)]، من رواية الحسن بن علي ابن صالح؛ أبي سعيد العدوي البصري ، الملقب بـ"الذئب" (ت ٣١٩هـ) ؛ قال عنه الدارقطني : "متروك"، وقال ابن عدي : "يضع الحديث"[(٣)] . وحكم على هذا الحديث بالوضع : ابن الجوزي[(٤)] ، والسيوطي[(٥)] ، والشوكاني[(٦)] ، وقال عنه محمود شكري الألوسي: ((وهذا الحديث موضوع قطعًا بإجماع أهل السنة)) [(٧)] .

---

(١) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص ٨٨ ، والمناقب لأخطب خوارزم ص ٨٨ ، والأمالي لشيخ الطائفة الطوسي ١/ ١٨٦ .

(٢) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر ٤٢/ ٦٢ .

(٣) انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٢/ ٢٥٨ ، ولسان الميزان لابن حجر ٢/ ٢٢٩ .

(٤) انظر الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٣٤٠ .

(٥) انظر اللآلئ المصنوعة للسيوطي ١/ ٣٢٠ .

(٦) انظر الفوائد المجموعة للشوكاني ص ١٠٧٨ .

(٧) مختصر التحفة الاثني عشرية لمحمود شكري الألوسي ص ١٦٨ .

وكذا ما أخرجه أخطب خوارزم –الرافضي– في المناقب ، من حديث ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ وقد سئل بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج ؟ فقال : ((**خاطبني بلغة علي بن أبي طالب ، فألهمني أن قلت: يا رب ! خاطبتني أنت أم علي ؟ فقال : يا أحمد أنا شيء ليس كالأشياء ، لا أقاس بالناس ، ولا أوصف بالأشياء . خلقتك من نوري ، وخلقت عليًّا من نورك ، واطّلعت على سرائر قلبك فلم أجد في قلبك أحبّ إليك من علي بن أبي طالب ، فخاطبتك بلسانه كيما يطمئن قلبك**))[1] .

وهذا أيضًا من وضع الرافضة ، ومداره على أبي مخنف لوط بن يحيى الرافضي، توفي سنة ١٧٠هـ ، ورواه عن ابن عمر ، ولم يدركه[2] .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أخطب خوارزم الذي خرّج هذه الأحاديث : ((إن أخطب خوارزم هذا له مصنف في هذا الباب، فيه من الأحاديث المكذوبة ما لا يخفى كذبه على من له أدنى معرفة بالحديث، فضلا عن علماء الحديث ، وليس هو من علماء

(١) المناقب لأخطب خوارزم ص ٣٧ .
(٢) انظر : ميزان الاعتدال للذهبي ٣/ ٤١٩ ، ورجال النجاشي–الشيعي– رقم ٩٧٧٢ .

الحديث ، ولا ممن يُرجع إليه في هذا الشأن البتة . وهذه الأحاديث مما يعلم أهل المعرفة بالحديث أنها من المكذوبات)) [١] .

أمَّا حديث النور الذي نسب –زورًا وبهتانًا– إلى جابر بن عبدالله ، وذكر العجلوني[٢] أنّ عبدالرزاق الصنعاني قد خرّجه ، وفيه : ((**إنّ الله خلق قبل الأشياء نور نبيّك من نوره ..**)) ، وهو حديث باطل موضوع ، نُسب إلى عبدالرزاق ، وليس في مصنّفه ، ولا في كتاب من كتب الحديث ، بله كتب الضعفاء والمتروكين. فإذا لم يكن الحديث في هذه الكتب ، فأين يكون ؟!

ونسبة الحديث إلى كتاب من كتب عبدالرزاق لا يعني صحته ؛ بل قد روي عنه –كما قال الحافظ ابن عدي– ((أحاديث في الفضائل لا يُوافق عليها)) [٣] . فإذا لم يُوافَق على أحاديث رواها في الفضائل، فكيف يُوافق على ما خالف العقيدة؛ حيث جعل الحديثُ –الذي نسبوه إليه– النبيَّ ﷺ مصدر المخلوقات جميعًا ؟!. لذلك نقول في حديث جابر المنسوب إلى عبدالرزاق ما قاله الشيخ الألباني رحمه الله :

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣/ ١٠ .
(٢) في كشف الخفاء ١/ ٣١١ .
(٣) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٥/ ١٩٤٨ .

((..وليس لذلك أساس من الصحة، وحديث عبدالرزاق غير معروف إسناده))[١] .

وهذا من قول الصوفيَّة، وغلوّهم في رسول الله ﷺ ، وزعمهم أنَّه خلق من نور . وهذا قد دخل عليهم من قبل الرافضة .

وأغلب معتقدات الرافضة متأثرة بالمجوسيّة ، واليهوديّة المحرّفة .

يقول الدكتور عداب الحمش : ((إنّ ممَّا لا أتحرّج من اعتقاده أن كثيرًا من معتقدات الشيعة قد تأثرت بالتراث الفارسي الثنوي ؛ فالنور عندهم رمز للخير ...))[٢] .

المعتقد الصحيح في نبيِّنا –صلى الله عليه وسلم– :

وينبغي أن نعلم أخيرًا أنّ من لوازم محبتنا لرسولنا ﷺ أن نؤمن بما جاء به من العقائد ، وأن لا نعتقد عقائد تُخالف ما جاء به ؛ إذ ليس لأحد أن يأتي بمثل ما جاء به من الشرع ، فضلاً عن مجيئه بأحسن منه .

(١) السلسلة الصحيحة للألباني ، رقم ١٣٣ .
(٢)النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلوّ الغالين لعداب محمود الحمش ص ٢٨ .

وحقيقة نبيّنا ﷺ أنَّه بشرٌ ـ أكرمه الله بالنبوَّة وخصَّه بالرسالة، وأوجب علينا توقيره ومحبّته، ونصرة دينه واتّباع سنته؛ فهو بشرٌ ـ من ذريَّة آدم، وليس من نور الله ولا خُلق من نور، بل هو رسولٌ أمين، وهو هاد إلى صراط الله المستقيم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠].

ترجمة موجزة للمؤلِّف:

اسمه ونسبه: هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر ابن محمد ابن أحمد نوح بن محمد بن سيدي بن أحمد بن المختار. من أولاد الطالب أوبك. وهذا من أولاد أولاد كرير بن الموافي بن يعقوب بن جاكن الأبر؛ جدّ القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالجكنيِّين، ويُعرفون بتجكانت. ويرجع نسب القبيلة إلى حِمْيَر[1].

مولده: ولد رحمه الله عام (١٣٢٥هـ)، وكان مسقط رأسه عند ماء يُسمّى (تَنْبَه)؛ من أعمال مديرية (كيفا)، من القطر المسمّى

(١) انظر ترجمته بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في أضواء البيان ١٩/١.

بـ"شنقيط" ؛ وهـو دولة موريتانيا الإسلامية الآن . علـماً بـأنّ كلمـة "شنقيط" كانت ولا تزال تُطلق على قرية من أعـمال مديريـة (أطـار)، في أقصى موريتانيا في الشمال الغربي[١].

صفاته الخلقية : كان ـ رحمـه الله ـ أسـمر اللـون ، ربعـاً ، معتـدلاً ، قوي البنية والعضـلات ، عظيم الهامة ، معتـدلاً في الضـخامة ، لـيس بالضخم ولا بالرقيق، إلا أنَّه في آخر حياته حين اشـتدّ بـه المـرض رقّ جسمه كثيراً[٢].

وقال عنه الشيخ بكر بن عبدالله أبو زيـد رحمـه الله : "لـو مـرّ في جمعٍ من النَّاس وأنت لا تعرفه ، لقلتَ هذا عالم كبير ؛ لما تلمح فيه مـن النبوغ والألمعية ، ولما عليه من جلالة العلم ، ووقار العلماء" [٣] .

وقال عنه ابنه د. محمد المختار : كان شجاعاً ، قوي البنيـة . وقـد صرع رجلاً مشهوراً بالقوة .

---

(١) انظر المصدر نفسه ١٨/١ .
(٢) نقلاً عن الأستاذ محمد الأمين بن الحسـين ؛ أحـد تلاميـذ الشـيخ ، والمـدرس بالمعهـد الثانوي بالجامعة الإسلامية ، وذلك في مقابلة أجريتها معه .
(٣) نقلاً عن كتاب : منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام للسديس ص ٨٠ .

صفاته الخُلُقيَّة : كان -رحمه الله- يتحلّى بفضائل كثيرة ؛ منها : غض الطرف عن زلة من أساء إليه ، وعدم الانتقام لنفسه ، وعدم الغضب ، مع الحلم ، والصفح ، ومقابلة الإساءة بالإحسان .

وقد كان ـ رحمه الله ـ يتعاهد الفقراء بالعطية ، ويقضي مصالح الضعفاء ، ويبذل جاهه وماله لمن طلبه ، مستغنياً بعفته وقناعته ، بل تراه يترك حقه الخاصّ تعففاً عنه . ومات ولم يُخلِّف درهماً ولا ديناراً[1] .

ولم يكن ـ رحمه الله ـ يغتاب أحداً ، أو يسمح بغيبة أحد في مجلسه ، وكثيراً ما كان يقول لإخوانه : "تكايسوا" ؛ أي من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة ، ويقول : "إذا كان الإنسان يعلم أنَّ كل ما يتكلَّم به يأتي في صحيفته ، فلا يأتي فيها إلا الشيء الطيب"[2] .

عقيدته : كان -رحمه الله- مِمَّن نوَّر الله بصيرتهم ، فاعتنوا بإبراز معتقد السلف، والنَّهل من الوحي؛ فقد كان سلفيّ الاعتقاد : يصدر في أقواله وتقريراته عن الكتاب والسنَّة ، ويُحذِّر من الأهواء والبدع ، ويقول بما قال به الصحابة ﷺ والتابعون والأئمة المشهورون من

(١) انظر ترجمة الشيخ رحمه الله في كتابي : جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف ١/ ٣٥-٣٧ .
(٢) انظر ترجمة الشيخ بقلم تلميذه الشيخ عطية سالم في مقدمة أضواء البيان ١/ ٦٣ .

السلف الصالح ﷺ . وكـان –رحمـه الله– مـن الـذين أكـرمهم الله ﷻ بالانتصار لمذهب السلف ، والدفاع عنه ، والدعوة إليه ، والاعتناء بـه تدريساً وتأليفاً .

وفاته : توفي –رحمه الله– ضحىٰ يوم الخميس ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ ، وكانت وفاته بمكة المكرمة مرجعه من الحجّ ، ودفن في مقبرة المعلاة ، وصلّىٰ عليه سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز –رحمـه الله– .

صدىٰ وفاته : حزن النَّاس عليه حزناً شديداً ، ورثاه عددٌ كبيرٌ مـن الشعراء بأبيات كثيرة ، أقتصر علىٰ مقتطفات من بعضها .

فمن ذلك : ما رثاه به تلميذه وابـن عمّـه الشـيخ أحمـد بـن أحمـد الجكني الشنقيطي في قصيدة طويلة منها[1] :

أبكي الأمينَ وليتني من علمه ما عشت فـزت بنيـل كـلّ بيان

أبكي الأمـينَ محمَّـداً وإنّني أبكـي الأمـين لشـرعة القـرآن

(١) نقلاً عن منهج الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام ص ٦٤ .

من ذا يلومك إن بكيت مفوّهاً سمح الخليقة من بني الإنسان

ومن ذلك : ما رثاه به الشيخ محمد الأمين بن مختار الجكني ، ابن عمّ الشيخ –رحمه الله– في قصيدة طويلة جاء فيها :

هو الموت لا ينفكّ يفجع معشراً بكوكبه الدريّ بين الكواكب

فتى لم ير الراؤون شرواه بعده ولا أنجبت شرواه بيض الكواعب

عجيب غريب في البرايا وإنما غرائبه في العلم فوق الغرائب

ومن ذلك : ما رثاه به الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله بن آدّ الشنقيطي بقصيدة طويلة ، أذكر منها :

أعينيّ جودا بالدموع السواكب لمن ضوءه قد فاق ضوء الكواكب له الفضل في التفسير إن رمت باحثاً وفي الفقه والتوحيد من كل جانب

ففي النحو أستاذ وفي الشعر حجّة وفي الجود بحر يُرتجى للنوائب

حواه ثرىٰ المعلا فيا حسن ما حوىٰ إمام له في الدين أولى المراتب

رحم الله الشيخ محمد الأمين رحمة واسعة .

وصف النسخة الخطية :

النسخة المعتمدة كتبها تلميذ الشيخ محمد الأمين : الشيخ محمد الأمين ابن الحسين –مدرس في المعهد الثانوي بالجامعة الإسلامية ، ومن أبرز تلاميذ الشيخ الذين كتبوا عنه أضواء البيان– ، كتبها بخط مغربيّ قديم ، وهي تقع في إحدىٰ عشرة صفحة ، معدّل الأسطر في كل صفحة خمس وعشرون ، وفي كلّ سطر خمس عشرة كلمة في المتوسط .

وقد كتبها الشيخ محمد الأمين بن الحسين في حياة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله . ولم يتبيَّن لي تاريخ النسخ .

وقد حصلت عليها من مكتبة ولد الشيخ محمد الأمين: الدكتور عبدالله حفظه الله، الذي زوّدني بهذه النسخة من مؤلفات الشيخ ، وبغيرها من المؤلّفات ، فوصل أياديه البيضاء السابقة –عند كتابتي لرسالة الماجستير عن جهود والده الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف– بأيادٍ بيضاء لا زالت تتوالىٰ عليّ ، ويلزمني شكرها . فشكر الله له ما قدّم ، وأجزل له المثوبة .

نماذج من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة سؤال المكرم الأمير عثمان بن عبدالرحمن :
هل العالم كله مخلوق ومرزوق من بركة النبي صلى الله عليه وسلم
أو من أسباب أخرى ؟ والجواب عن ذلك أقول إن العظيم
~~والعجيب عندي~~ وصوان الحكم التي خلق من أجلها العالم ورزق
كلها إلهية ربانية لا نبوية ، وقد أوضح الله جل وعلا أنها كلها
راجعة إليه هو تعالى لا إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فبين أن مرجع
خلق المخلوقات هو أن يثبت بذلك البرهان القاطع على صحة
معنى كلمة لا إله إلا الله في آيات كثيرة جدا كقوله تعالى في البقرة
وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، ثم أقام البرهان
القاطع على ذلك بقوله بعده : إن في خلق السماوات والأرض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث
فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء
والأرض لآيات لقوم يعقلون . ومن أعظم الاستدلال بخلق
المخلوقات على معنى لا إله إلا الله ما يتضح من النظر في ترتيب
أول سورة البقرة لأنه تعالى بدأها بحروف مقطعة هي : الم
ثم أتبع ذلك بثناء بتعظيم شأن القرآن في قوله : ذلك الكتاب
لا ريب فيه ثم بين أن الناس بالنسبة إلى الإيمان بالقرآن والكفر به
ثلاث طوائف الطائفة الأولى هي التي آمنت به ظاهرا وباطنا
وهم المذكورون في قوله : هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب الآية
والطائفة الثانية هي التي كفرت به ظاهرا وباطنا وهم المذكورون في
قوله : إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون
ختم الله على قلوبهم الآية . الطائفة الثالثة هي التي آمنت به ظاهرا

القِسْم الثَّاني

النصّ المحقَّق

ق ١

صورة سؤال المكرم الأمير عثمان بن عبدالرحمن[١]

هي : ((هل العالم كله مخلوق ، ومرزوق من بركة النبيّ ﷺ ، أو ذلك له أسباب أخرىٰ ؟)) .

والجواب عن ذلك من القرآن الكريم ؛ وهو : أنَّ الحِكَمَ التي خُلِقَ من أجلها العالِم ، ورُزِقَ كلَّها إلهيَّة ، ربَّانيّة ، لا نبويَّة .

وقد أوضح الله جلّ وعلا أنها كلَّها راجعةٌ إليه هو تعالىٰ ، لا إلىٰ سيِّدنا محمدٍ ﷺ ؛ فبيَّن أنّ من حِكَم خلقه للمخلوقات هو أن يُقيم بذلك البرهان القاطع علىٰ صحَّة معنىٰ كلمة " لا إله إلا الله " في آيات كثيرة جداً ؛ كقوله تعالىٰ في سورة "البقرة" : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾[٢] .

ثمّ أقام البرهان القاطع[٣] علىٰ ذلك بقوله بعده : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

(١) هو الأمير عثمان بن عبدالرحمن بن سويد أحمد ، من قبائل إدوعيش . وأرسل بهذا السؤال من موريتانيا قبل وفاة الشيخ بمدة . وهم من أهل الشوكة والسلاح وطبقة الأمراء في الغزو، وليسوا متخصصين في طلب العلم ، وإن كان الأمير طالب علم جيد. والرسالة بخط الشيخ / محمد الأمين الحسين ؛ أملاها عليه الشيخ الشنقيطي رحمه الله رحمة واسعة . (أخبرني بهذه المعلومة : الدكتور عبد الله بن الشيخ محمد الأمين) .

(٢) الآية {١٦٣} ، من سورة البقرة .

(٣) علىٰ ألوهيَّة الله واستحقاقه للعبادة . وقد أفاض الشيخ رحمه الله في تقرير توحيد الألوهيَّة بهذه البراهين الشرعيَّة العقليَّة ، فأورد في تفسيره نصوصاً كثيرة من القرآن الكريم تدلّ علىٰ وحدانيَّة الله ﷻ واستحقاقه للعبادة. ومن هذه النصوص ما هو في

بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾[1].

ومن أعظم الاستدلال بخلق المخلوقات على معنى "لا إلـه إلا الله " : مـا يتضح من النظر في ترتيب أوّل سورة البقرة ؛ لأنَّه تعالى بـدأها بحروفٍ مقطّعةٍ هي : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾﴾ ، ثمّ أتبـع ذلـك بتعظيم شأن القـرآن ، في قولـه : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾، ثـمَّ بـيَّن أنَّ النـاس بالنسـبة إلى الإيمان بالقرآن ، والكفر به ثلاث طوائف :

ـ الطائفة الأولى : هي التي آمنت به ظاهراً وباطناً ، وهم المذكورون في قوله : ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ الآية[2] .

ـ والطائفة الثانية : هي التي كفـرت بـه ظـاهراً وباطنـاً ، وهـم المذكورون في قولـه : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ...﴾ الآية[3] .

صفاته ﷻ الدالة على ألوهيَّته، ومنها ما هو في آياتـه الشرعيَّة والكونيَّـة.(انظر أضـواء البيان ٦/ ٢٦٥-٢٦٧ ،، ٣/ ١٠١) .

(١) الآية {١٦٤} ، من سورة البقرة .

(٢) الآيتان {٢-٣} ، من سورة البقرة .

(٣) الآية {٦-٧} ، من سورة البقرة .

ـالطائفة الثالثة : هي التي آمنت به ظاهراً / وكفرت بـه باطنـاً ق ٢ وهم المنافقون المذكورون في قولـه تعـالى : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ . .** ﴾ الآية[١] .

وأطال تعالى الكلامَ في هذه الطائفة الأخيرة ؛ لأنَّها شرُّ الطوائـف ، فضرب لها المثـل بالنَّـار في قولـه تعـالى : ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا . .**﴾ الآية[٢] ، وبالمـاء في قولـه تعـالى : ﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ** ... ﴾ الآية[٣] .

ولا شـكّ أنّ كـلّ مسـلمٍ سـمع هـذا التقسـيم إلى هـذه الطوائـف الـثلاث يتمنَّـى أن يعلـم الطريـق التـي توصلـه إلى أن يكـون مـن الطائفة الطيِّبة . فبيَّن تعـالى أنّ الطريـق الوحيد لكونه منها هـو تحقيـق معنى هاتين الكلمتين -أعني كلمـة "لا إلـه إلا الله"، وكلمـة "محمـد رسول الله"-؛ فجـاء بكلمـة "لا إله إلا الله" أوّلاً موضحة إثباتها على حدة ، ونفيها على حدة . ثمّ بيَّن البرهان القاطع عـلى صـحتها ؛ وهـو خلقه تعالى للمخلوقات[٤] .

---

(١) الآيات {٨-٩} ، من سورة البقرة .

(٢) الآية {١٧} ، من سورة البقرة .

(٣) الآية {١٩} ، من سورة البقرة .

(٤) قال الشيخ رحمه الله: (وقد أقام الله جلَّ وعلا البرهان القاطع على صحَّة معنـى لا إلـه إلا الله نفياً وإثباتاً بخلقه للسموات والأرض وما بيـنهما في قولـه تعـالى: ﴿ **ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ**

ومن المعلوم أنّ كلمة "لا إله إلا الله" مركّبة من نفي وإثبات؛ لأنَّ "لا إلهَ": نفيٌ ، و "إلا الله" : إثبات .

ومعنى النفي منها: هو خلع جميع المعبودات غير الله في جميع أنواع العبادات .

ومعنى الإثبات منها : هو إفراده جلّ وعلا وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الشرعيّ خاصَّة ، مع الإخلاص له في ذلك على وجه الذلّ، والخضوع ، والمحبة[1] .

فإذا عرفت ذلك، فاعلم أنَّ قوله جلّ وعلا -بعد ذكره الطوائف الثلاث- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2]، كما وصفنا لك ؛ فقوله جلّ وعلا : ﴿ٱعۡبُدُواْ

وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ ﴾

الآيتان {٢١-٢٢} ، من سورة البقرة . انظر أضواء البيان ٧/ ٣٦٦ .

(١) انظر أضواء البيان للمؤلف رحمه الله ٣/ ٨ ، ٢٠٥ ، ٢٦٧ . ومعارج الصعود في تفسير سورة هود من إملاء المؤلِّف رحمه الله ص ١٢٦ ، ٢٠٤ . وانظر كلام الشيخ محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله (مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول : العقيدة ، تفسير كلمة التوحيد ص ٣٦٣ ، ٣٦٤) .

(٢) الآيتان {٢١-٢٢} ، من سورة البقرة .

رَبَّكُمُ﴾ : فيه معنى الإثبات، من "لا إله إلا الله" ، وهو أولُ أمرٍ في المصحف الكريم .

وقوله تعالى : ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا**﴾ : يتضمّن معنى النفي منها ، على أبلغ وجهٍ وأكمله وأتمّه ، وهو أوّلُ نهيٍ في المصحف الكريم .

وقوله تعالى : ﴿**الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ**﴾[2] : هو البرهان القاطع / على صحّة معنى "لا إله إلا الله" ، ولذا جاء به بين طرفيها، وهو نصّ صريحٌ في أنّ من حِكَمِ خَلْقِ الخلق ؛ من العقلاء وغيرهم ؛ إقامة البرهان بذلك على أنّه تعالى هو المعبود وحده .

ق ٣

وهذا البرهان كثيرٌ في القرآن كثرة مستفيضة لا خفاء بها ؛ كقوله تعالى في "الروم" : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ** . . ﴾[1] ، إلى قوله : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾[2] ، وقوله في "شورى" : ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ** ﴾[3]، وقوله في "الجاثية" : ﴿**إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ** . . . .﴾ إلى قوله : ﴿**آيَاتٌ**

---

(١) الآية {٢٠} ، من سورة الروم .

(٢) الآية {٢٢} ، من سورة الروم .

(٣) الآية {٢٩} ، من سورة الشورى .

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾[(١)]. وكقوله في "يونس": ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ۝١٠١﴾[(٢)]، وقوله في "يوسف": ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝١٠٥﴾[(٣)]، وقوله في "الأعراف": ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ...﴾ الآية[(٤)]. وقوله في "فصّلت": ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[(٥)]، وقوله تعالى في "الذاريات": ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[(٦)]، وقوله في "آل عمران": ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[(٧)]، وقوله في "الغاشية": ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١﴾[(٨)].

(١) الآيات {٣-٥}، من سورة الجاثية.
(٢) الآية {١٠١}، من سورة يونس.
(٣) الآية {١٠٥}، من سورة يوسف.
(٤) الآية {١٨٥}، من سورة الأعراف.
(٥) الآية {٥٣}، من سورة فصلت.
(٦) الآيتان {٢٠-٢١}، من سورة الذاريات.
(٧) الآية {١٩٠}، من سورة آل عمران.
(٨) الآيات {١٧-٢١}، من سورة الغاشية.

فتأمَّل قوله بعد هذه البراهين القاطعة في سورة "الغاشية" هذه: ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ ﴾ ، تفهم نوع الحكمة في خلق المخلوقات .

وكقوله في "ق~": ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[1] ، فتأمَّل قوله تعالى : ﴿ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ ﴾ ، تفهم نوع الحكمة في / خلق الخلق .

ق ٤

والآيات بمثل هذا كثيرة جداً ، ولأجل ذلك جرت العادة في القرآن بأنّ الله تعالى يجعل علامة استحقاق العبادة هو كون المعبود خالقاً[2] ؛ لأنّ خلقه للخلق برهانٌ على استحقاقه للعبادة ؛ كقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ... ﴾ الآية[3] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ بعد قوله : ﴿ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾[4] : واضحٌ في ذلك . وكقوله تعالى في "الرعد" : ﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ

---

(١) الآيات {٦-٨} ، من سورة ق~ .

(٢) وهذا معنى أنَّ توحيد الربوبيَّة مستلزمٌ لتوحيد الألوهيَّة ؛ فالذي خلق الخلق وحدَه هو المعبود وحدَه . وانظر كلام الشيخ رحمه الله عن هذا الدليل في مؤلفه أضواء البيان ٣/ ١٠١ ، ٢١١ ،، ٤/ ٣٠ ،، ٧/ ٣٧٢ .

(٣) الآية {٢١} ، من سورة البقرة .

(٤) الآية {٢١} ، من سورة البقرة .

خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ...﴾ الآية[1] ؛ يعني : وخالق كلّ شيء هو المعبود وحده .

وكقوله تعالى في "فاطر" : ﴿ **قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ** . . ﴾ الآية[2] ؛ وهو صريحٌ في أنَّ من لا يخلق غيره لا يُعبَد ، وأنَّ من يخلُق غيرَه هو الذي يُعبد .

وبه تعلم أنَّ من حِكَم خَلْقِ الخَلْقِ: الدليلُ على استحقاق العبادة .

ونظير ذلك في قوله تعالى في "لقمان" : ﴿ **خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَاۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ** ...﴾ الآية[3] .

وقوله في "الأحقاف" : ﴿ **قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ** . . ﴾ الآية[4] ، وقوله تعالى في "الأعراف" : ﴿ **أَيُشْرِكُونَ**

---

(١) الآية {١٦} ، من سورة الرعد .
(٢) الآية {٤٠} ، من سورة فاطر .
(٣) الآيتان {١٠-١١} ، من سورة لقمان .
(٤) الآية {٤} ، من سورة الأحقاف .

مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾[١]، وقوله تعالى في "الحجّ" : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ** . . ﴾ الآية[٢] ؛ يعني : أنَّ مَنْ لم يكن خالقاً لا يصحّ أن يكون معبوداً ، والمعبود لا بُدّ أن يكون خالقاً .

ولمَّا بيَّن تعالى في سورة "النحل" تلك البراهين العظيمة على جلاله وعظمته ، وأنَّه المعبود وحده ، في قوله : ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾[٣] ، إلى قوله : ﴿**وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾** ﴾[٤] ، أتبع ذلك بقوله : ﴿ **أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾** ﴾[٥] .

ولمَّا بيَّن في سورة "الفرقان" علامات من يستحق العبادة بقوله: ﴿ **الَّذِي / لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾** ﴾[٦] ، أتبع ذلك

ق ٥

(١) الآية {١٩١} ، من سورة الأعراف .
(٢) الآية {٧٣} ، من سورة الحج .
(٣) الآية {٣} ، من سورة النحل .
(٤) الآية {١٦} ، من سورة النحل .
(٥) الآية {١٧} ، من سورة النحل .
(٦) الآية {٢} ، من سورة الفرقان .

بصفات من لا يستحق أن يُعبد بقوله : ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ[1] شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . . ﴾ الآية[2] .

والآيات بمثل هذا كثيرة جداً معروفة ، وفيها الأدلة القاطعة الواضحة على أنَّ حكمة خلق الخلائق إلهية ربّانية ، لا نبوية ، كما رأيت ، وكما سترى.

وأمَّا ما أشرنا إليه من بُرهان "محمد رسول الله" ، فهو برهان الإعجاز المذكور بعد برهان "لا إله إلا الله" في آية البقرة الماضية .

فبُرهان "لا إله إلا الله" في قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ . . . ﴾ الآية[3]، وبُرهان "محمد رسول الله" في قوله تعالى بعده: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ . . . ﴾ الآية[4] ، وليس مقصودنا تقرير بُرهان الإعجاز ، بل الجواب على السؤال المذكور .

وقد بيَّن تعالى أنّ من حِكَم خلقه للمخلوقات : هو أن يُعلم خلقه بكمال قدرته ، وإحاطة علمه العظيم بكلّ شيء ؛ كما قال تعالى في آخر سورة "الطلاق" : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ

---

(١) في الأصل : "يخلون" ، وهو سبق قلم .
(٢) الآية {٣} ، من سورة الفرقان .
(٣) الآية {٢١} ، من سورة البقرة .
(٤) الآية {٢٣} ، من سورة البقرة .

يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴾ [(١)] ؛ فاللام في قوله : ﴿ لِتَعْلَمُوٓاْ ﴾ : متعلقة بقوله : ﴿ خَلَقَ ﴾ ؛ أي خلق ذلك الخلق كلَّه لتعلموا أنَّه على كلّ شيء قدير وأنَّه محيطٌ بكلّ شيء علماً[(٢)] .

وبه تُعلم أنّ حِكمة خلق الخلق إلهية ربانية ، لا نبوية .

ومن الحكم العظام في خلقه تعالىٰ للخلق : أن يأمرهم وينهاهم علىٰ ألسنة رسله، ثمّ يختبرهم ؛ أي يبتليهم ، أيُّهم أحسن عملاً ، ثمّ يُجازيهم علىٰ ذلك .

وقد أوضح تعالىٰ هذا المعنىٰ في آيات كثيرة ؛ كقوله تعالىٰ في أول سورة "هود" : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ ، ثمّ بيَّن حكمة ذلك ، فقال : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [(٣)] ؛ فاللام في قوله : ﴿لِيَبْلُوَكُمْ ﴾ متعلقة بقوله : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ .

---

(١) الآية {١٢} ، من سورة الطلاق .

(٢) قال ابن جرير الطبري –رحمه الله– في تفسير خاتمة هذه الآية : (ولتعلموا أيها الناس أنَّ الله بكلّ شيء من خلقه محيط علماً ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ..) . جامع البيان ١٢/ ١٤٦ . وقال ابن الجوزي –رحمه الله– : (أعلمكم بهذا لتعلموا قدرته على كل شيء، وعلمه بكل شيء) . زاد المسير ٨/ ٣٠١ .

(٣) الآية {٧} ، من سورة هود .

ق ٦

ونظـيره في المعنىٰ قولـه تعـالىٰ في أول "الكهـف" : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ [1] أَيُّهُمْ / أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ ﴾[2]، وقولـه تعالىٰ في أوَّل "الملـك" : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[3]، وقوله تعالىٰ في آخر "الذاريات" : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾[4] ؛

فقـولــه : ﴿ لِيَعْبُدُونِ ﴾ : التحقيـق في معنـاه أنَّ المـراد : إلاّ لآمـرهم بعبادتي ، وأنهـاهم عن معصيتي ، فأُوفِّق من شئت مـنهم إلىٰ عبـادتي ؛ كما دلَّت علىٰ هذا المعنىٰ الآيات المذكورة آنفاً في "الملك" ، و"هـود" ، و"الكهف"[5] .

والغرض الشرعي المـراد مـن طاعـة الله وعبادتـه ، والخضـوع لـه وتعظيمه، يحصل بفعل السعداء دون الأشـقياء ؛ كـما أشـار تعـالىٰ إلىٰ ذلك بقوله في "الأنعـام" : ﴿ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[6]، وقولـه تعـالىٰ في "فصِّـلت" : ﴿ فَإِنِ

(١) في الأصل : "لنبولهم" ، وهو خطأ .
(٢) الآية {٧} ، من سورة الكهف .
(٣) الآية {٢} ، من سورة الملك .
(٤) الآيتان {٥٦-٥٧} ، من سورة الذاريات .
(٥) انظر أضواء البيان ٧/ ٦٧٣-٦٧٧ .
(٦) الآية {٨٩} ، من سورة الأنعام .

ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾[1] .

واختار ابن جرير الطبري[2] رحمه الله ؛ -ومعلومٌ أنه من كبار المفسِّرين ، وقال بعض العلماء[3] : هو كبير المفسِّرين-؛ أنَّ معنى الآية : ﴿ **إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ** ﴿٥٦﴾ ﴾ : أي ليُقرُّوا لي بالعبودية ، ويخضعوا ويُذعنوا لذلك ؛ فالمؤمنون يُذعنون طوعاً ، والكفَّار يُذعنون كرهاً[4] . وهو قول ابن عباس[5] .

وقد قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ۩** ﴿١٥﴾ ﴾[6] .

---

(١) الآية {٣٨} ، من سورة فصلت .

(٢) هو الإمام المفسِّر ، صاحب التصانيف البديعة . جمع من العلوم ما لم يُشاركه فيه أحدٌ من أهل عصره . مات سنة عشر وثلاثمائة ، وقد جاوز الخامسة والثمانين .
(انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي ١٤/ ٢٦٧ . ومعجم البلدان لياقوت الحموي ١/ ٥٧ . وطبقات المفسرين للداودي ٢/ ١٠٦) .

(٣) وقال ابن خزيمة رحمه الله : (ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير) .
(انظر : الأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ص ٩٢ . والعلوّ له ص ١٥٠-١٥١).

(٤) انظر جامع البيان للطبري ١١/ ٤٧٦ .

(٥) قال ابن عباس -رضي الله عنهما- : (إلا ليُقرُّوا بالعبادة طوعاً وكرهاً) . انظر جامع البيان للطبري ١١/ ٤٧٦ .

(٦) الآية {١٥} ، من سورة الرعد .

وما يزعمه كثيرٌ من متأخِّري المفسرين[١] من أنّ "اللام" في ﴿لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ للصيرورة : لا أصل له ، وهو مبنيّ على شيء مذكور في علم الكلام[٢] ،

لا يشكّ عالم بكتاب الله منصفٌ في بطلانه ، كما أوضحناه مراراً[٣] .

وقد رأيت في الآيات الماضية أنَّ من حِكم خلق الخلق: أمرهم بعبادة[٤] الله ، وابتلاءهم أيهم أحسن عملاً .

ومعلومٌ أنَّ الأمر والنهي لا تتمّ الحكمة فيهما إلا بجزاء المحسنين بالإحسان ، والمسيئين بالإساءة .

---

(١) انظر : الفتوحات الإلهيَّة ٤/ ٢١١ . وتفسير الجلالين بحاشية الفتوحات الإلهيَّة . والكشاف للزمخشري ٤/ ٢١ .

(٢) عرّف الإيجي علم الكلام بقوله : (علمٌ يُقتدر معه على إثبات العقائد الدينيّة ، بإيراد الحجج ودفع الشبه) . المواقف في علم الكلام للإيجي ص ٧ . وعلم الكلام منه المقبول ومنه المذموم . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : (والسلف لم يذمّوا جنس الكلام ، فإنّ كلّ آدمي يتكلّم ، ولا ذمّوا الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله، والاستدلال بما بيّنه الله ورسوله ، ولا ذمّوا كلاماً هو حق ، بل ذمّوا الكلام الباطل ؛ فالكلام الذي ذمّه السلف هو الباطل ، وهو المخالف للشرع والعقل) . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣/ ١٤٧ .

(٣) انظر أضواء البيان ٧/ ٦٧١ ، ٦٧٧ . ودفع إيهام الاضطراب للمؤلف رحمه الله –وهو ملحق في تتمة كتاب أضواء البيان– ٩/ ١٥٨-١٦١ .
والمتكلِّمون ينفون حكمة الله ، ويُنكرون أن تكون أفعاله ﷻ واقعة لسبب أو لعلة . انظر كتاب النبوات لشيخ الإسلام رحمه الله ١/ ٢٤٠-٢٤١ ، ٤٢٧-٤٣٣ .

(٤) في الأصل : "بعباد" .

ولذلك بيَّن تعالى في آيات كثيرة أنَّ من حِكَم خلقه تعالى للخلائق : جزاء المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء منهم بإساءته ؛ كقوله تعالى في "النجم" : ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾** ﴾[1] .

فقوله تعالى في هذه الآية : ﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** ﴾ ، أي: هو خالقهما ، وما فيهما . ثمَّ بيَّن الحكمةَ، فقال : ﴿ **لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا** . . ﴾ الآية.

ق ٧

ويزيد ذلك إيضاحاً / قوله تعالى في أول "يونس" : ﴿ **إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾** ﴾[2] .

والكفَّار الذين ظنُّوا أنَّ خلقَ السموات والأرض وما فيهما لا لتكليفٍ وحسابٍ وجزاءٍ ، هدَّدهم بالويل من النار ، بسبب هذا الظنّ السيء المقتضي تجرُّد خلق الخلائق عن حكمة التكليف والحساب والجزاء ، وذلك في قوله في ص~ : ﴿ **وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾** ﴾[3] .

---

(١) الآية {٣١} ، من سورة النجم .
(٢) الآية {٤} ، من سورة يونس .
(٣) الآية {٢٧} ، من سورة ص .

وقد نزَّه نفسَه تعالى عن أن يكون خَلَقَ الخَلْقَ لا لبعثٍ وجزاءٍ، وأنكر على من ظنَّ ذلك إنكاراً شديداً في آخر سورة "الفلاح"[١] ؛ قال منكراً ذلك بهمزة استفهام الإنكار : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾[٢] .

ثمَّ نزَّه نفسه عن ذلك الحسبان المقتضي تجرّد خلقهم عن حكمة البعث والجزاء أكمل تنزيهٍ وأتمّه ، بقوله : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾[٣] ؛ أي : تعالى الله الملك الحقّ ، وتقدَّس وتعاظم وتنزَّه عن أن يكون خلقهم عبثاً لا لحكمة بعثٍ وجزاء .

وقال تعالى منكراً ذلك أيضاً : ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ الآية[٤] .

وهذا الذي نزَّه تعالى عنه نفسه ؛ من كونه خلقهم باطلاً ؛ لا لبعثٍ وجزاء ، نزَّهه عنه أيضاً أولوا الألباب ؛ أي : أصحاب العقول السليمة ، وذلك في قوله تعالى في "آل عمران" : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ

---

(١) وهي سورة "المؤمنون" . وسمّيت بسورة "الفلاح" ، لأنّ الله تعالى ابتدأها بقوله : ﴿ قد أفلح المؤمنون ﴾ .
(٢) الآية {١١٥} ، من سورة المؤمنون .
(٣) الآية {١١٦} ، من سورة المؤمنون .
(٤) الآية {٣٦} ، من سورة القيامة .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[1] ؛ فقوله : ﴿ سُبْحَٰنَكَ ﴾ : أي تنزيهاً لك عن أن تكون خلقتَ هذا الخلقَ باطلاً ، لا لحكمة تكليفٍ وبعثٍ وحسابٍ وجزاءٍ ؛ فتنزيههم له عن ذلك بقولهم : ﴿سُبْحَٰنَكَ ﴾ ، كتنزيهه لنفسه عن ذلك بقوله : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾ الآية[2] .

وأمَّا مسألة رزقه تعالىٰ لخلقه : فقد بيَّن تعالىٰ في آياتٍ كثيرة من كتابه أنَّ من حِكَم ذلك كونه بُرهاناً قاطعاً علىٰ أنَّه لا إله إلا هو وحده ، وأنَّه المعبود وحده .

فكونه هو الرَّازق لخلقه : من أعظم أدلّة التوحيد / الدالَّة علىٰ عظمته ـ جلّ وعلا ـ ، وجلاله ، وكمال قدرته .

ق ٨

ولذا يأتي بصفة الرزق دائماً في القرآن في إقامة البرهان[3] علىٰ توحيده تعالىٰ؛ كقوله تعالىٰ في "الروم" : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ

---

(١) الآيتان {١٩٠-١٩١} ، من سورة آل عمران .

(٢) الآية {١١٦} ، من سورة المؤمنون .

(٣) ومعناه أنَّ المتّصف بصفة الرزق ، هو المستحق أن يُعبَد وحده ، والعاجز عن الرزق لا يصلح أن يكون إلهاً . (انظر أضواء البيان ٣/ ٣٢٢-٣٢٧ ، ٧/ ٦٦٦) .

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠﴾[١]، وقوله تعالى في "يونس":﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾[٢]، وقوله تعالى في "سبأ":﴿ ۞ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾[٣]، وقوله تعالى في "النمل" : ﴿أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤﴾ الآية[٤]، وقوله في "غافر" : ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾[٥]، وقوله تعالى في "الجاثية" : ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٥﴾[٦]، وقوله تعالى في "البقرة" : ﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾[٧]، وقوله في

(١) الآية {٤٠}، من سورة الروم.
(٢) الآيتان {٣١-٣٢}، من سورة يونس.
(٣) الآية {٢٤}، من سورة سبأ.
(٤) الآية {٦٤}، من سورة النمل.
(٥) الآية {١٣}، من سورة غافر.
(٦) الآية {٥}، من سورة الجاثية.
(٧) الآية {٢٢}، من سورة البقرة.

"غـــافر" : ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ . .﴾ الآية[1] ، وقوله تعالى في "الأنعام": ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾[2] ، وقوله تعالى في "العنكبوت" : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[3] .

ومن أصرح البراهين في ذلك: قوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ ، إلى قوله : ﴿مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[4] .

والآيات بمثل هذا كثيرةٌ جداً[5] .

وصفة الرزق في جميع الآيات المذكورة إنَّما هي من براهين التوحيد.

---

(١) الآية {٦٤} ، من سورة غافر .

(٢) الآية {١٤} ، من سورة الأنعام .

(٣) الآية {١٧} ، من سورة العنكبوت .

(٤) الآيات من {٢٤} ، إلى {٣٢} ، من سورة عبس .

(٥) مثل قوله تعالى : ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون ﴾[النحل : ٧٣] ، وقوله تعالى : ﴿ أمَّن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه بل لجّوا في عتوّ ونفور ﴾ [تبارك : ٢١] ، وقوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجنّ والإنس إلا ليعبدون ما أُريد منهم من رزق وما أُريد أن يُطعمون إنَّ الله هو الرزَّاق ذو القوَّة المتين ﴾[الذاريات : ٥٦-٥٨] . .

وبذلك تعلم أنّ من حِكَم رزقه تعالىٰ لخلقه : إقامة البُرهان لهم بذلك على عظمته ، وكمال قدرته ، وأنَّه المعبود وحده جلّ وعلا .

وبه تعلم أنّ حكمة رزق الخلق إلهيّة ربَّانيّة ، لا نبويّة .

ق ٩

وقد بيَّن تعالىٰ امتنانه على سيِّدنا محمد صلى الله / عليه وسلَّم بأنَّه تعالىٰ هو الذي رزقه كما رزق جميع الرسل، وجميع الخلق . قال تعالىٰ مخاطباً له ﷺ في سورة "الضحىٰ" : ﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾[1] ؛ أي: وجدك فقيراً ، فأغناك برزقه الحلال الطيِّب . وقال تعالىٰ مخاطباً له أيضاً في "طه" : ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾[2] .

وقد بيَّن تعالىٰ أنَّ من حِكَم رزقه لخلقه : إظهار شدّة حاجتهم وفقرهم وفاقتهم إلى رحمته جلّ وعلا ، وأنّه لو أمسك عنهم الرزق أو أبعد عنهم الماء في داخل الأرض ، حتىٰ لا يستطيعوا الوصول إليه ، أو جعله ملحاً أجاجاً لا يمكن أن يُشرب ، لهلكوا جميعاً ، ولم يقدر أحدٌ كائناً من كان أن يُطعمهم ، ولا أن يسقيهم .

قال تعالىٰ في "الملك": ﴿ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥ ﴾[3] .
وقال فيها أيضاً : ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ﴿٣٠﴾

(١) الآية {٨} ، من سورة الضحىٰ .
(٢) الآية {١٣٢} ، من سورة طه .
(٣) الآية {٢١} ، من سورة الملك .

﴾[١] . وقال في "الواقعة" : ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [٢] .

وقد بيَّن تعالى أنَّ من حِكَم رزقه لخلقه : عظمُ رحمته وفضله وكرمه ؛ كقوله تعالى : ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾﴾ [٣] .

فقد رأيتَ في الآيات القرآنية بعض حِكَم خلق الله تعالى لخلقه ورزقه لهم .

ومعلومٌ أنَّ من أسمائه : " الخالق " ، ومن أسمائه : " الرزَّاق " ، ومعلومٌ أنَّ أسماءه أزليَّة لا أوَّل لها[٤] .

وبالجملة : فإيضاح هذا المبحث كلِّه : هو أنّ الله جلّ وعلا غنيّ عن الخلائق كلِّهم ، وقد اقتضت حكمته أن يخلق السموات والأرض ونحوهما ليُقيم ذلك بُرهاناً قاطعاً على كمال قدرته ، وعظمته ، وأنَّه المعبودُ وحده ، وخَلَقَ العقلاءَ كلَّهم لتلك الحكمة ، ولحكم

(١) الآية {٣٠} ، من سورة الملك .
(٢) الآيات {٦٨-٧٠} ، من سورة الواقعة .
(٣) الآية {٦} ، من سورة هود .
(٤) وانظر دفع إيهام الاضطراب في تتمَّة أضواء البيان ١٥٨/٩ ، ففيها مزيد بيان وتفصيل لهذه المسألة .

ق ١٠

أخرىٰ عظيمة ، وهي : أنَّه يأمرهم ، وينهاهم علىٰ ألسنة رسله علـيهم الصلاة والسلام ، ثمّ يُوفِّق فريقـاً منهـم ؛ وهـم أهـل الجنَّـة ، ولم يفعل ذلك لغيرهم ؛ وهم أهل النار / .

وقـد أشار تعالىٰ إلىٰ أنَّ اختلافهم إلىٰ شقيّ وسعيد مِـنَ الحِكَم التي خلقهـم لأجلهـا ، في سـورة "هـود" ، في قولـه تعـالىٰ : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ ﴾[1] .

والتحقيـق : أن الإشـارة في قولـه : ﴿ وَلِذَٰلِكَ ﴾[2] : راجعـةٌ إلىٰ اختلافهم إلىٰ شـقيّ وسـعيد ، المـذكور في ضـمن قولـه : ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ . ولـذا ذكـر بعده مصير فريـق الأشـقياء بقولـه : ﴿ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ الآية[3] .

---

(١) الآيتان {١١٨-١١٩} ، من سورة هود .

(٢) وقال رحمه الله أيضاً عند تفسير هذه الآيـة ﴿ ولـذلك خلقهـم ﴾[هـود : ١١٩] : (أي خلقهم لأن يختلفوا إلىٰ مؤمن وكافر ، وبرّ وفاجر ، وشقيّ وسعيد ، ليصرف كلاًّ إلىٰ مـا كُتِبَ له في الأزل ، ولتظهر فيهم آثار صفات الله تعالىٰ وأسمائه ؛ من رحمة ورضا وثواب للمطيعين ، وقهر وجبروت وشدَّة عـذاب للعاصـين) . معـارج الصـعود ص ٢٠٣ . وانظر المصدر نفسه ص ٢٩٤-٢٩٥ . وانظر شفاء العليل لابن القيم ص ٢٠٢-٢٠٣ .

(٣) الآية {١١٩} ، من سورة هود .

والاختلاف المذكور في آية "هود" هـذه ، هو المذكور في "التغابن" ، في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾[1] ، وفي "شـورىٰ" ، في قولـه تعـالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ۝٧ ﴾[2] ، وفي "الأعراف" ، في قوله تعـالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۝٢٩ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَـٰلَةُ ﴾[3] .

والآيات بمثل ذلك كثيرةٌ جداً .

ومـن الحِكَم الباهرة في إسعادِ قومٍ ، وإشقاءِ آخـرين : أنّ كـلاً مـن الفريقين[4] ينكشف فيه بعض أسرار أسمائه الحسنىٰ ، وصفاته العـلا ؛ فالـذين وفَّقهم لفعل الخير يظهر فيهم بعضُ أسرار أسـمائه وصـفاته ؛ فالـذين يرحمهم ، يظهر فيهم سرّ رحمته التي اشتقّ لنفسه منهـا اسـمه "الرحيم" ، و "الرحمن" ، ورأفته التي منها اسمه "الرؤوف" ، وكرمه الذي منه اسمه "الكـريم" ، وحِكَمـه الـذي منـه اسـمه "الحكـيم" ، وهكـذا.

والـذين أشـقاهم يظهـر فـيهم أسرار بعـض أسـمائه وصـفاته ؛ كانتقامه الذي منه اسم "المنتقم" ، وكبريائـه وجبروتـه اللـذين مـنهما

---

(١) الآية {٢} ، من سورة التغابن .

(٢) الآية {٧} ، من سورة الشورىٰ .

(٣) الآيتان {٢٩-٣٠} ، من سورة الأعراف .

(٤) في الأصل "الفرقين" . وهو سبق قلم .

اسما "الجبار" ، "المتكبر" ، وهكذا أيضاً ، لأنّ بـذلك يجتمـع الخـوف والمحبَّة[١] .

وعلىٰ كلّ حال : فسيّدنا وسيِّد الخلائـق كلّهـا محمّـد ﷺ أعطـاه الله جلّ وعلا من التشريف والتعظيم والتكـريم وعلـوّ الشـأن في العـالم العلويّ والسفليّ مِمَّا هو ثابت في كتاب الله والسنَّة الصحيحة ، مـا هـو في أشدّ الغنىٰ عن ادّعاء تعظيمه بأمور لا أساس لهـا ، ولا مسـتند لهـا البتة ، ولم يقل ﷺ حرفاً منها .

فعلىٰ المسلم أن يثبَّت ويتحفَّظ ، وألا يقـول عـلىٰ نبيِّنـا ﷺ شـيئاً إلا بعد ثبوت صحّته ، لأنَّه ﷺ روىٰ عنه سبعون من أصـحابه أنـه قـال : "من كذب عليَّ متعمِّداً فليتبوَّأ مقعده من النَّار"[٢] .

---

(١) وقد أوضح الشيخ الأمين رحمه الله هذه المسـألة فقـال : (إنّ ربّ السـموات والأرض غنيّ غنىٰ مطلقاً بذاته ، خلق الخلق لتظهر فيهم أسرار أسمائه وصفاته ، وعلامات ملكه وسلطنته وقهره . ومن صفاته تعالىٰ ما يدلّ علىٰ الرحمة والرأفة والشفقة . ومنها ما يـدلّ علىٰ العزّة والقهر والجبروت والغلبة . فلو جعل النَّاس كلَّهم مهتدين لمـا ظهـر للخلـق كمال الإنصاف والعدل ، ولما ظهر للنَّاس شدَّة قهره وجبروته . ولو جعلهم كلَّهم كفَّاراً لما ظهر للنَّاس آثار رحمته ورأفته وعطفه وجوده وإحسانه . ولهذا هدىٰ الله تعـالىٰ قومـاً وطبعهم علىٰ الطيب من الأعمال ، وصرف نيَّاتهم إلىٰ ما سبق به الأزل لهـم مـن الخـير ، لتظهر فيهم آثار أسمائه الدالَّة علىٰ الرحمة وغيرها من صفات الإحسان والجود والكرم، وخلق آخرين ، وطبعهم علىٰ الخبث، وصرف نيَّاتهم إلىٰ ما كتب لهم في الأزل وفي سابق علمه من الشقاء لتظهر فيهم آثار قدرته ، وشدة بطشه ، وكمال عدله وإنصافه). معارج الصعود ص٢٩٤-٢٩٥ . وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٨١-٢٨٢ .

(٢) ذكر الزبيدي في "لقط اللآلئ المتنـاثرة في الأحاديـث المتـواترة" ص ٢٦١- ٢٨٢ : أنَّ تسعة وتسعين صحابيًّا رووا هذا الحديث . وهو في الصحيحين ، من حديث علي بن أبي

وعلىٰ كلّ حال : فمن المعلوم الواضح أنَّه لا ينبغي لأحدٍ أن يقول : إنَّ فرعون، وهامان ، وقارون ، وعاقر ناقة صالح ، وأبا جهل، وأمية بن خلف، ونحوهم من أئمة الكفر ، خُلِقوا من بركة سيِّدنا محمَّدٍ ﷺ، وكذلك سائر المشركين والكفَّار ، لأنَّه ﷺ خيرٌ كلُّه ، ولا ينشأ عنه إلا خير محض ، كما لا يخفىٰ[1] .

انتهى

طالب ، والزبير بن العوام ، وعبدالله بن عمرو بن العاص، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وأبي ذر الغفاري، وأنس بن مالك، والمغيرة بن شعبة، وغيرهم رضي الله عنهم . (انظر : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، ح ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، وكتاب الجنائز ، ح ١٢٩١، وأحاديث الأنبياء ، ح ٣٤٦١، وكتاب المناقب ، ح ٣٥٠٨ ، وكتاب الأدب ، ح ٦١٩٧، وصحيح مسلم ، في المقدمة ، ح ٣، ٤، ٥، وفي كتاب الزهد والرقائق، ح ٧٧٠٢.

(١) وهذا جواب عقليّ مقنع ، يُوافق النصوص الشرعيَّة .

فهرس المصادر

١ - الإبريز –الذي تلقاه أحمد بن المبارك عـن عبـدالعزيز الـدباغ-. المطبعة الأزهرية المصرية، ط١ : ١٣٠٦هـ .

٢- الأربعين في صـفات رب العـالمين ، لشـمس الـدين الـذهبي . تحقيق عبدالقادر محمَّد عطا صوفي. نشر مكتبة العلوم والحكم ، المدينـة المنورة ، ط١ : ١٤١٣هـ-١٩٩٣م .

٣- الأسرار المرفوعة في الأخبـار الموضـوعة ، لمـلا عـلي القـاري . طبعة المكتب الإسلامي، دمشق-بيروت ، ط٢: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م .

٤- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، للشـيخ محمـد الأمـين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي. نشر مكتبة ابـن تيميـة، القـاهرة-مصر ، ١٤٠٨-١٩٨٨م .

٥- الأمالي ، لمحمد بـن الحسـن الطـوسي –الملقـب عنـد الرافضـة بشـيخ الطائفـة- . مطبعـة الـنعمان ، النجـف-العـراق ، ١٣٨٤هــ-١٩٦٤م .

٦- الإنسان الكامـل في معرفـة الأواخـر والأوائـل ، لعبـدالكريم الجيلي . طبعة البابي الحلبي ، مصر ، ط٤ .

٧- البردة = بردة المديح، ومعها القصيدة المصرية والقصيدة المحمدية، لشرف الدين أبي عبدالله محمَّد البوصيري . نشر مكتبة ومطبعة الحسيني ، القاهرة ، (د . ط) .

٨- البريلوية ، لإحسان إلهي ظهير . طبعة إدارة ترجمان السنة ، لاهور-باكستان ، ط٦ : ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. توزيع إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد .

٩- التبرك : أحكامه وأنواعه ، للدكتور ناصر عبدالرحمن محمد الجديع. مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١١هـ .

١٠- التصوف بين الحق والخلق ، لمحمد فهر شقفة . طبعة الدار السلفية للنشر والتوزيع ، ط٣ ، (د . ت) .

١١- تفسير الجلالين ، لجلال الدين السيوطي ، وجلال الدين محمد بن أحمد . طبعة دار إحياء الكتب العربية ، (د . ت) .

١٢- تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري ، لشيخ الإسلام ابن تيمية. نشر الدار العلمية السعودية ، (د . ت) .

١٣- تهذيب اللغة ، لأبي المنصور محمد بن أحمد الأزهري ، تحقيق الدكتور عبدالحليم النجار. نشر الدار المصرية للتأليف والنشر، طبعة مطابع سجل العربي، (د. ت).

١٤- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري. طبعة دار المعرفة، بيروت-لبنان، (د . ت) .

١٥- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، لعبدالعزيز بن صالح الطويان . مكتبة العبيكان، الرياض، ط١: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م .

١٦- حجة الله البالغة، للشيخ أحمد المعروف بشاه ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي . طبعة دار المعرفة، بيروت-لبنان .

١٧- الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة، لجلال الدين السيوطي. نشر مكتبة دار العروبة، الكويت، ط٢: ١٤١٠هـ-١٩٨٩م .

١٨- دفع إيهام الاضطراب، لمحمد الأمين الشنقيطي . ملحق في تتمة كتاب أضواء البيان -المجلد العاشر- .

١٩- دلائل النبوة، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني . (د . ن)، (د . ت) .

٢٠- رجال النجاشي = فهرست أسماء مصنفي الشيعة .

٢١- الرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية = تلخيص كتاب الاستغاثة .

٢٢- سلسلة الأحاديث الصحيحة ، لمحمد ناصر الدين الألباني . طبعة المكتب الإسلامي ، دمشق-بيروت ، ومكتبة المعارف ، الرياض.

٢٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة ، لمحمد ناصر الدين الألباني . طبعة المكتب الإسلامي ، دمشق- بيروت .

٢٤- سير أعلام النبلاء ، لشمس الدين الذهبي . طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت-لبنان ، ط١: ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

٢٥- شرح العقيدة الطحاوية ، لعلي بن محمد بن أبي العز الحنفي . طبعة دار الفكر العربي ، بيروت-لبنان ، (د . ت) .

٢٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية . نشر مكتب التراث ، القاهرة- مصر ، (د . ت) .

٢٧- صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري . طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ، (د . ت) .

٢٨- صحيح مسلم بشرح النووي ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . المطبعة المصرية ومكتبتها ، القاهرة- مصر .

٢٩- العلو للعلي الغفار ، لشمس الدين الذهبي . دار الفكر ، بيروت-لبنان ، ط٢: ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م .

٣٠- الفتوحات المكية ، لمحيي الدين ابن عربي . طبعة المطبعة العربية ، القاهرة- مصر، (د . ت) .

٣١- فهرست أسماء مصنفي الشيعة ، لأحمد بن علي النجاشي . مكتبة الداوري ، قم- إيران، (د.ت) .

٣٢- الفوائد ، لتمام الرازي . تحقيق الدكتور عبدالغني التميمي ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى جامعة أم القرىٰ ، مكة المكرمة .

٣٣- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ، لمحمد بن علي الشوكاني . المكتب الإسلامي ، دمشق-بيروت ، ط٣ : ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٣٤- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٣٥- الكامل في ضعفاء الرجال ، لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني. دار الفكر، بيروت، ط١: ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م .

٣٦- الكشاف ، للزمخشري . طبعة مصطفىٰ البابي الحلبي ، القاهرة-مصر ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، (د . ت) .

٣٧- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، لإسماعيل العجلوني. مكتبة التراث الإسلامي ، حلب ، ودار التراث ، القاهرة .

٣٨- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ، لجلال الدين السيوطي . ط المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة-مصر .

٣٩- لسان الميزان ، لابن حجر العسقلاني . تصوير مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، لبنان ، (د . ت) .

٤٠- مجموع الأوراد الكبير والأدعية والأحزاب والاستغاثات ، للبكري . طبعة مكتبة النصر ومطبعتها ، القاهرة- مصر ، (د . ت) .

٤١- مختصر التحفة الاثني عشرية ، لمحمود شكري الألوسي . نشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، ١٢٧٣هـ-١٩٤٢م .

٤٢- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم أبي عبدالله محمد بن عبدالله . نشر دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان .

٤٣- مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، وأثرها السيء على الأمة الإسلامية ، لإدريس محمود إدريس . مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ : ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٤- معارج الصعود في تفسير سورة هود ، للشيخ محمد الأمين الشنقيطي . جمع الدكتور عبدالله قادري . طبع دار المجتمع ، جدة ، ط١ : ١٤٠٨هـ .

٤٥- معجم البلدان ، لياقوت الحموي . تصوير دار صادر ، بيروت-لبنان ، (د . ت) .

٤٦- مفاهيم يجب أن تصحّح ، لمحمد علوي المالكي الحسيني . طبعة دار الإنسان ، القاهرة- مصر ، ط١ : ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م .

٤٧- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، لشمس الدين السخاوي. توزيع دار الباز ، مكة المكرمة، ط : ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م .

٤٨- المناقب ، لأخطب خوارزم . ط المطبعة الحيدرية ، النجف-العراق ، ١٣٨٠هـ.

٤٩- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، لابن المغازلي . طبعة قم – إيران .

٥٠- منهج الشيخ الشنقيطي في تفسير آيات الأحكام من أضواء البيان، لعبدالرحمن السديس . مكتوب على الآلة الكاتبة .

٥١- المواقف في علم الكلام ، لعبدالرحمن الإيجي . عالم الكتب ، بيروت ، (د.ت) .

٥٢- مواعظ نعيمية ، لأحمد يار خان . طبعة بريلي ، الهند .

٥٣- موضوعات الصغاني، لأبي الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن القرشي الصغاني . دار المأمون للتراث ، دمشق- بيروت ، ط٢ ١٤٠٥-١٩٨٥م .

٥٤- مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب -قسم العقيدة- . طبع بمطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

٥٥- ميزان الاعتدال ، لشمس الدين الذهبي . تصوير دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، عن الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م .

٥٦- النبوات، لشيخ الإسلام ابن تيمية . طبع دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ١٤٠٢هـ .

٥٧- النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلوّ الغالين ، لعداب محمود الحمش . دار حسن للنشر والتوزيع، ودار الأماني للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية ، ط١: ١٤٠٧هـ .

٥٨- هذه مفاهيمنا : رد على مفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد علوي مالكي، لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ . خال من مكان الطبع ، وتاريخه .

فهرس الموضوعات